

سوسيولوجيا الفن: المؤسسون

لقد أكدت مدام دوستايل في كتابها المعنون "الأدب في علاقته بالمؤسسات الاجتماعية" حوالي 1800م، إرتباط الأدب الوثائق بمجتمعه، حيث تعتبر ذلك الكتاب أول محاولة لجمع الأدب والمجتمع في دراسة واحدة منهجية.

وقد حددت "مدام دوستايل" موقفها قائلة: "لقد عزمت على أن أنظر في مدى تأثير الدين والعادات والتقاليد في الأدب وهذا تأثرا بأستاذها "مونتيسكيو" وكتابه "تاريخ الحقوق"، حيث يمكن أن نتكلم عن روح الأدب وفيه بدأت كلمتا "عصري" و"وطني" تنحيان منحى جديدا وأصبح الأدب يعلل تنوعه عبر الأزمنة والأمكنة بمجتمعاته البشرية وخصائصها المميزة.

وفي هذا الوقت برز مفهوما "روح العصر" و"الروح الوطنية" وذلك في منتدى مدام دوستايل وأصدقائها الألمان، وقد كان تين **Taine** من أهمهم ومعروف عليه مقارنة الأدب بالعلم ودراسته له من زوايا: العرق، البيئة والزمن، وتفاعل هذه العوامل الثلاث هو ما يحدد الظاهرة الأدبية، غير أن "لانسون" **George Lanson** يعارضه بصدد مفهوم "العلم الإنساني"؛ فالأدب يعد أكثر تعقيدا خاصة وأن الأدب تتحكم فيه عبقرية المبدع، لذلك فإن نتائج الدراسة الأدبية لا يمكن أن تكون بنفس دقة نتائج العلوم الدقيقة.

إن المنهج السوسيولوجي عند هؤلاء كان يطبق على الآداب والفنون بنفس الدرجة وقد أخضع "كارل ماركس" الفن والأدب لنفس منهجه مع الاقتصاد، غير أن أول من ناقش النظريات الماركسية قد أبدوا حذرا شديدا في تعاملهم مع الأدب، وقد جمعت نظريات "ماركس" و"إنجلز" في مؤلف بعنوان "حول الأدب والفن"، وقد جاء هذا الكتاب مخيبا للآمال.

وفي مطلع القرن العشرين تكونت نظرية ماركسية حقيقية مع "بليخانوف" **Plekhanov** الناقد السوفياتي الذي نظر إلى الأدب والفن في علاقتهما الغير منفصلة عن المجتمع، حيث ركز على الفنان في معرض تأثره بالعناصر التاريخية والاجتماعية، والنتيجة المنهجية لهذا

الموقف هي: "إن المنهج التاريخي الذي هو أساس البحث الأدبية السوفياتي، يعتمد كمعيار أولي لأي عمل في درجة إخلاصه في عرض الحقيقة بمختلف عقدها".

ولقد بدأت صرامة "جورج لوكاتش" وتلميذه الفرنسي "لوسيان غولدمان" في تطبيق المنهج السوسيولوجي الماركسي، ولكن على درجة من وعي المشاكل الجمالية.

ولقد لاقى المنهج السوسيولوجي في روسيا معارضة من المدرسة الشكلية التي تأثرت بالفلسفة الهيجلية الألمانية، حيث كان هيغل يهتم بمضمون الفن بقدر ما كان يهتم شكله، وفي الحقيقة أن هيغل يمثل منعطفًا تتلاقى فيه النظريات التي تنصر المضمون بما فيه السوسيولوجيا والنظريات الشكلية التي تهتم بنصرة الشكل.

ولذلك فإن عالم الجمال "هيغل" يعتبر الوسيط المنهجي بين المدرسة الماركسية التي تسيد المضلومين و المدرسة الشكلية التي تسيد الشكل إذ يقول: "إن الفن هو التجسيد الحسي الفكرة".

